

خطبة الجمعة - الخطبة ٤٤٠ : خ - ١- المصيبة ، خ - ٢- الوقاية من الأمراض المعدية .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٧-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهدي لو لا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توکلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيدُ الخلق والبشر ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبرٍ ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزرنا علماً ، وارنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنَه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الفرق بين المؤمن و غير المؤمن في فهم المصيبة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ أن يفهم الإنسان معنى المصيبة من خلال منهج القرآن وهو يتعرض لها في حياته الدنيا ، إن فهم معنى المصيبة كما أراد الله عز وجل ، هذا الفهم الصحيح هو في طبيعة الأسباب التي تؤمن للإنسان سلامته النفسية وسعادته في الدنيا ، الدنيا أيها الأخوة مفعمة بالمصائب ، ولكن الفرق بين المؤمن وغير المؤمن هو أنَّ المؤمن يفهم المصيبة من خلال القرآن الكريم ، من خلال منهج الله عز وجل ، يفهمها فيما حقيقياً وواقعيَاً يعودُ هذا الفهم عليه سلامَة في نفسه ، وسعادة في الدنيا والآخرة ، المصائب نفسها التي تقع كُلَّ يوم في الأرض لو فهمها الإنسان فيما آخر ، فهما بعيداً عن منهج القرآن الكريم ما الذي يحصل؟ يمتنع حقاً ، يمتنع قهراً، يمتنع إحباطاً ، يمتنع ضياعاً ، فال المصائب هي هي ولكن الفرق كبير جداً بين من يفهمها فيما كما أراد الله عز وجل فيما حقيقياً ، وبين من يفهمها فيما ما أراده الله ، فهما يوشِّهُ به الشيطان .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ما من منهج فلسي في الأرض ولا مبدأ وضعى استطاع أن يعطي المصيبة معانيها الدقيقة كما ورد في القرآن الكريم ، مثل بن أبيكِم هو أن السيارة صُنعت من أجل أن تسير وفيها المكابح ، والمكابح في حقيقتها تعمل على عكس الغرض المتواتي من السيارة، تعمل على إيقافها ، ولكن لو لا المكابح لتدهورت السيارة ولانتهت ، المكابح التي تعمل على نقىض الهدف المتواتي من صنع السيارة لضمان سلامتها ، ولضمان استمرارها، ولضمان

وصول هذه المركبة إلى أهدافها ، فإذا فهمنا أن المصائب التي يسوقها الله عز وجل للإنسان بمعنى المكابح التي تضمن سلامـة هذه المركبة ، وتجعلها تتبع سيرها ، وتبلغ هدفها ، إن فهـمنا المصيبة بهذا المعنى ، هذا الفهم نستتبـطـه من القرآن الكريم ، لكنـ أعداء المسلمين ينـفـونـ إلى الطعنـ في الدينـ من خـالـلـ مقولـةـ يـزـعـمـونـهاـ وهيـ أنـ المـسـلـمـ يـسـتـسـلـمـ للمـصـيـبـةـ وبـهـذاـ الاستـسـلـامـ يـكـفـ عنـ التـقـدـمـ وـالتـنـمـيـةـ وـماـ إـلـىـ ذـلـكـ ،ـ هـذـاـ فـهـمـ سـقـيـمـ مـرـيـضـ ،ـ الـمـؤـمـنـ مـكـفـ بـأـنـ يـسـعـيـ ،ـ مـكـفـ بـأـنـ يـأـخـذـ بـأـلـسـابـ ،ـ وـلـكـ حـيـثـ مـاـ اـنـتـهـتـ بـهـ الأـسـبـابـ وـحـتـّـ بـهـ رـحـلـ السـعـيـ بـدـلـ أـنـ يـنـتـحـرـ فـيـ هـذـاـ المـوـقـعـ الـذـيـ لـاـ خـيـارـ لـهـ فـيـهـ يـسـتـسـلـمـ لـقـضـاءـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ وـيـرـضـيـ بـهـ ،ـ وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ يـعـودـ عـلـيـهـ بـالـخـيـرـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ .

٤ : تفسير المصيبة من القرآن الكريم :

١ - مصائب المخالفـةـ بـسـبـبـ النـفـسـ الـأـمـارـةـ بـالـسـوءـ :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ للمصيبة تسعة تفاسير من كتاب الله ، التفسير الأول : هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون وفق أنظمة بالغة الدقة ، فأي مخلوق لم يأخذ بهذه الأنظمة ، ولم يرع هذه الأنظمة ، ولم يهتم بهذه الأنظمة ، ولم يعبأ بهذه الأنظمة ، خرقـهاـ وـخـالـفـهاـ وـقـصـرـ فيـ حـقـهاـ لـابـدـ منـ أـنـ يـدـفعـ الثـمـنـ ،ـ هـذـاـ أـوـلـ تـقـسـيـرـ لـلـمـصـيـبـةـ ،ـ هـذـاـ تـقـسـيـرـ بـعـيـدـ عـنـ الذـنـبـ وـالـمـعـصـيـةـ وـالـعـقـابـ ،ـ لـهـذـاـ جـسـمـ قـوـانـينـ ،ـ إـذـاـ خـالـفـ قـوـانـينـ وـأـصـيـبـ إـلـيـانـ بـمـرـضـ هـذـاـ مـرـضـ جـزـاءـ المـخـالـفـةـ ،ـ أـوـ جـزـاءـ التـقـسـيـرـ ،ـ الـأـجـسـامـ الـبـشـرـيـةـ ،ـ الـنـبـاتـ ،ـ الـحـيـوانـاتـ ،ـ كـلـ شـيـءـ خـلـقـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ خـلـقـهـ وـفـقـ نظامـ دـقـيقـ دـقـيقـ ،ـ فـمـاـ لـمـ يـرـعـ هـذـاـ النـظـامـ ،ـ مـاـ لـمـ نـأـخـذـ بـهـ فـلـابـدـ مـنـ دـفـعـ الثـمـنـ ،ـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ المصـيـبـةـ هـوـ نـتـائـجـ طـبـيعـيـةـ لـمـخـالـفـةـ سـنـنـ اللهـ فـيـ خـلـقـهـ ،ـ وـالـذـيـ لـاـ يـحـتـرـمـ سـنـنـ اللهـ فـيـ خـلـقـهـ ،ـ الـذـيـ لـاـ يـحـتـرـمـ النـظـامـ الـذـيـ نـظـمـ بـهـ الـكـوـنـ ،ـ هـذـاـ يـجـبـ أـنـ يـعـاقـبـ ،ـ مـنـ لـمـ يـوـقـ نـفـسـهـ مـنـ أـسـبـابـ الـأـمـرـاـضـ إـذـاـ مـرـضـ فـالـمـرـضـ جـزـاءـ مـخـالـفـتـهـ لـقـوـانـينـ النـفـسـ ،ـ هـذـاـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ المصـيـبـةـ لـهـ لـاـ بـالـطـاعـةـ وـلـاـ بـالـمـعـصـيـةـ ،ـ وـلـاـ بـالـعـقـابـ وـلـاـ بـالـجـزـاءـ .

من شرب الدخان مثلا العلم الحديث أثبت أن الدخان يضر بالقلب والأوعية والرئتين وما إلى ذلك ، فالأمراض الناتجة عن الدخان هي جراء طبيعي لهذا الخروج عن منهج الله عز وجل ، فلذلك يمكن أن نقول : إن هناك علاقة علمية بين الطاعة وأسبابها وبين المعاشرة وأسبابها ، ومعنى علاقة علمية أي علاقة سبب بنتيجة ، فقد أكد بعض العلماء أن الخمر تسبب للإنسان أكثر من سبعين مرضًا ، الأمراض الوبيلة التي تعاني منها البشرية اليوم هي بسبب خروج عن السنن والقوانين التي قنـناـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ زـواـجـ الـأـقـارـبـ مـثـلـ هـذـاـ يـنـتـجـ عـنـ نـسـلـ ضـعـيفـ لـأـسـبـابـ

دقيقةٌ دقيقة ذكرها علماء الأجيّنة ، وعلماء الوراثة ، فإذا خالفنا القوانين والنظام التي سنّها الله عزّ وجلّ وأصبنا بمشكلات صعبة أو غير صعبة هذه جزء المخالفة وثمن الخروج عن سُننِ الله عزّ وجّل .

٢ – مصائبٌ جزاء المخالفات بسبب الجهل :

أيها الأخوة الكرام ؛ نوع آخر من أنواع المصائب هو بسبب خروج من منهج الله ولكن لا بسبب أنَّ الإنسانَ فعلَ معصيَةً بل بسببِ الجهلِ ، أكادُ أقولُ أيها الأخوة ما من مصيبةٍ تقعُ على وجه الأرض إلا بسببِ خروجِ عن منهجِ الله ، هذا الخروج إما أنه افتراضٌ معصيَةً ، وإما أنه جهل ، ويجبُ أن يعلمُ الإنسانُ أنَّ الجهلَ هو أعدى أعداءِ الإنسان ، وأنَّ الجاھلَ يفعلُ بنفسيه ما لا يستطيعُ أن يفعلُ بهِ أعداؤه ولو اجتمعوا ، أعداءُ الإنسان جميعاً لو اجتمعوا لا يستطيعونَ أن يفعلوا بالإنسان ما يفعلُ الجهلُ بهِ ، لذلك اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكون الخامسة فتهلك ، أيَّ أنك إذا خرجمتَ عن منهجِ الله ، عن قوانينِ الله ، عن سُننِ الله بسببِ الجهل تدفعُ الثمن ، أو بسببِ المعصيَةِ تدفعُ الثمن في الدنيا والثمن في الآخرة ، أيُّ خروجٍ عن منهجِ الله لهُ ثمن .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿كُلُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغُوا فِيهِ فَيَحْلِلُ عَلَيْكُمْ غَضَبِيٌّ فَقَدْ هَوَى﴾

[سورة طه: ٨١]

الجهلُ كما قُلتُ أعدى أعداءِ الإنسان ، الإنسان كائن أودعَ الله فيهِ قوَّةً إدراكيَةً فإذا أبقىَ نفسهَ جاهلاً فقد عطلَ فيهِ هذه القوَّة الإدراكيَة التي بها يتميَّزُ على سائرِ المخلوقات ، المخلوقات تتموَّلُ وأنتَ تتموَّلُ ، المخلوقات تتحركُ وأنتَ تتحركُ ، المخلوقات تشغُلُ حيزاً وأنتَ كذلك ، ولكنَ الفرقُ النوعيُّ بينَ الإنسان وبينَ بقيةِ المخلوقات هوَ هذه القوَّة الإدراكيَة التي أودعَها الله فيكِ ، فإذا أبقىَ نفسهَ جاهلاً فقد عطلَ هذه القوَّة الإدراكيَة ، لذلك رُتبَةُ العلم أعلىَ الرُّتب ، إذا أردتَ الدنيا فعليكَ بالعلم ، وإذا أردتَ الآخرة فعليكَ بالعلم ، وإذا أردتَهما معاً فعليكَ بالعلم ، وربُّنا عزّ وجل يقولُ :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلَمُونَ﴾

[سورة يومن: ٤٤]

أيَّ حينما يخرجون عن سُننِه ، حينما يخرجون عن تعاليمِه ، حينما يخرجون عن قوانينِه ، حينما يخرجون عن معطياتِ النظام الذي نظمَ بهِ الكون ، فمن الطبيعي أن يدفعوا الثمنَ مصيبةٌ تصيِّبُهم هي جزءٌ طبيعيٌ لمخالفتهم لتعليماتِ الله عزّ وجل .

فالإنسانُ أيها الأخوة إذا أُصيبَ بمصيبةٍ بسببِ تقصيرِه في منهجِ الله عزّ وجل لا ينبغي أن يقولَ : هذا ترتيبُ الله عزّ وجل ، وهذه مشيئةُه ، وهذا قضاءُ اللهِ وقدرهُ ، هذا كُلُّهُ صحيحٌ ولكن قُلْ قبلَ

كُلّ شيء : هذا هو جزاء التقصير ، أمّا المقصّر في أمورِ صحته أو أمورِ دينه إذا دفعَ الشّمن باهظاً ينبغي ألا يعزو خطاً إلى الله عزّ وجلّ ، وهذا شأنُ الكُسالى وشأنُ المقصّرين كُلماً أصيّروا بمحبّةٍ هي جزاء تقصيرهم عزّوا هذه المصيبة إلى حكمة الله ، وإلى فعل الله ، وبهذا يعيّدون الكرة مراتٍ عديدة ، وليس العارُ أن تكونَ جاهلاً ولكنَّ العارُ أن تبقى جاهلاً .

٣ – مصائب الابلاء :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ نوع آخر من المصائب ، مصائب الابلاء ، والابلاء هو الامتحان ، قال تعالى :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾

[سورة العنكبوت: ٢]

لابدّ من وضع دقيق يظهرُ الإنسان على حقيقته في الدنيا ، إن سميّنا هذه المصائب فهي مصائب ابتلاء ، ابتلاء أي امتحان :

﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حِرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَنْقَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الحج: ١١]

حكمة هذه المصائب أنّ الإنسان أيها الأخوة يتوهّم أنّه مؤمنٌ كبيرٌ ، ولكنَّ الله يعلمُ خلافَ ذلك ، هذا الإيمان الذي يتوهّمُه مدعّي الإيمان لا يظهرُ نقصه في الرخاء يظهرُ في الشدة ، فإذا ساقَ الله لهُ بعضَ ألوانِ الشدة إذا هوَ غيرُ مؤمن ، إذا هوَ يتكلّمُ بكلماتٍ لا تليقُ بالمؤمن ، إذا هوَ يطعنُ في حكمة الله عزّ وجلّ ، يطعنُ بعدلاته ، يطعنُ برحمته ، كأنَّ الله أرادَ من خلالِ هذه المصيبة أن يكشفَ للإنسانِ أولاً ولمن حوله ثانياً أنَّ هذا إدعاء وليسَ حقيقة .

في معركة الخندق يوم أحاطَ الكُفارُ بال المسلمين فكشفَ ظهرُهم بخيانة اليهود لهم من بنى قريطة ، قالَ بعضُ من صدقَ النبي عليه الصلاة والسلام أنَّه رسولُ الله ولكنَّ إيمانَه برسالته كانَ ضعيفاً ، ماذا قال ؟ قال : أيُعدُّنا صاحبُكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدُنا لا يؤمنُ أن يقضي حاجتَه ، نفى عنهُ النبوة ونفى عنهُ الرسالة وقال : أيُعدُّنا صاحبُكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدُنا لا يؤمنُ أن يقضي حاجتَه ؟ قالَ تعالى :

﴿هَنَالِكَ أَبْنُيَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَذِلِّوْا زِلْزاً شَدِيداً﴾

[سورة الأحزاب: ١١]

ويَا أيها الأخوة ؛ الإمام الشافعى سُئلَ أَنْدَعُوا الله بالتمكين أم بالابلاء ؟ فقالَ الإمام الشافعى رَحْمَةُ الله؛ تعالى : لن تُمكّنَ قبلَ أَنْ تُتَبَّلَى ، أيَّ مؤمنٍ يدّعى أنَّه مؤمن ، يدّعى أنَّه يحبُ الله ورسولَه ، يدّعى أنَّه مُسلِّم ، هذا الإنسان لابدّ من أَنْ يُمْتَحَن ، لابدّ من أَنْ يُمْتَحَن لتُكَشَّفَ حقيقَةُ إيمانه أهُوَ في المكان الرفيع أم في المكان الأدنى ؟ هذا مصدق قول الله عزّ وجلّ :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمُنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٣-٤]

لكَ أَنْ تَقُولَ مَا تَشَاءُ ، وَلَكَ أَنْ تَدْعِيَ مَا تَشَاءُ ، وَلَكَ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي تَشَاءُ ،
وَلَكَنَّ اللَّهَ مُتَكَفِّلٌ أَنْ يَكْشِفَ حَقِيقَةَ إِيمَانِكَ :

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْهَا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْرَ مِنَ الطَّيْبِ﴾

[سورة آل عمران : ١٧٩]

الْمَصَابِ الْأُولَى مَصَابِ التَّقْصِيرِ أَوِ الْمُخَالَفَةِ لِمَنْهَجِ اللَّهِ إِنْ بِرَغْبَةِ الْمُعْصِيَةِ وَإِنْ بِسَبِبِ الْجَهَلِ ،
الْمَصَابِ الْثَّانِيَةِ مَصَابِ الْاِبْلَاءِ لَا يُنْدَدُ مِنْ أَنْ تُبَتَّلَى ، تُبَتَّلَى بِالْغَنَى وَتُبَتَّلَى بِالْفَقَرِ ، تُبَتَّلَى بِالْقُوَّةِ
وَتُبَتَّلَى بِالْأَسْفِ ، تُبَتَّلَى بِالصَّحَّةِ وَتُبَتَّلَى بِالْمَرْضِ ، هَذَا الْاِبْلَاءُ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُ لِلنَّاسِ حَقِيقَةَ
إِيمَانِهِ .

٤ - مَصَابِ الرَّدْعِ :

شَيْءٌ آخَرُ أَيْهَا الْأَخْوَةُ : مَصَابٌ مِنْ نَوْعٍ جَدِيدٍ هِيَ مَصَابُ الرَّدْعِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَلَنُذَاقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الدُّنْيَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

الْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ مَقِيمًا عَلَى مُعْصِيَةِ ، مَقِيمًا عَلَى مُخَالَفَةِ ، مَقِيمًا عَلَى ظُلْمِ ، مَقِيمًا عَلَى أَكْلِ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، إِذَا كَانَ مَتَّلِبًا بِمُعْصِيَةِ فَاللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى رَحْمَةُ بِهِ وَحْرَصًا عَلَيْهِ ،
وَدَفَعًا إِلَيْهِ يَسُوقُ لَهُ بَعْضُ الْمَصَابِ لِيَعُودَ عَنْ غَيْرِهِ ، لِيَعُودَ إِلَى أَبْوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِيلْجُأَ إِلَى
تَوْبَتِهِ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

[سورة التوبه : ١١٨]

أَيْ سَاقَ لَهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ مَا حَمَلُوهُمْ بِهَا عَلَى التَّوْبَةِ ، لَذَلِكَ قِيلُ : مَنْ لَمْ تُحْدِثْ الْمَصِيبَةَ فِي نَفْسِهِ
مَوْعِظَةً فَمَصِيبَتُهُ فِي نَفْسِهِ أَكْبَرُ .

هَذِهِ مَصَابُ الرَّدْعِ ، الْمَتَّلِبُسُينَ بِالْمَعَاصِي ، الْمُخَالِفُونَ لِمَنْهَجِ اللَّهِ ، هُؤُلَاءِ رُبُّنَا سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لَا
يَدْعُهُمْ هَكُذا هَمَّا يَسُوقُ لَهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ مَا يَرْدِعُهُمْ ، وَبِالْمَنْاسِبَةِ إِذَا سَاقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ لَعِبَدِ
مُخَالِفٍ لِمَنْهَجِهِ بَعْضَ الشَّدَائِدِ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ ، لَأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ فِيهِ خَيْرًا ، وَلَوْ لَمْ
يَعْلَمْ فِيهِ خَيْرًا لَأَعْطَاهُ كُلَّ شَهْوَاتِهِ وَلَقَصَمَةً دُفْعَةً وَاحِدَةً :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَهُ
فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

﴿لَا يَغُرِّنَكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٦ - ١٧٩]

فالإنسان إذا كان فيه بقية من خير وكان متلبساً بمعصية ، متلبساً بظلم ، في ماله دخل حرام ، في إنفاقه إسرافٌ وتبذير ، في علاقاته الاجتماعية خروج عن منهج الله ، إذا كان كذلك وكان فيه بقية من خير ساق الله له من المصائب ما يردعه بها عن غيه ، وعن معصيته ، وذلك مصدق قوله تعالى :

﴿وَلَذِيقَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

﴿تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

[سورة التوبة: ١١٨]

أي ساق لهم من الشدائـد ما حملهم بها على التوبة هذه مصائب الردع .

٥ – مصائب القسم :

وهناك مصائب القسم :

﴿ذَلِكَ جَزِيَّةُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُنَّ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾

[سورة سباء: ١٧]

حينما تندم إمكانية الخير عند الإنسان ، وحينما يصر على كفره وعداته ، وحينما يصر على شهواته الفذرة ، وحينما لا تنفع معه الموعظة ، تأتي مصيبة القسم ، قبلها الردع ، هذه القسم :

﴿ذَلِكَ جَزِيَّةُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُنَّ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ﴾

[سورة سباء: ١٧]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِنِّكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلَحُونَ﴾

[سورة هود: ١١٧]

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهَلِّكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتْرِفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء: ١٦]

٦ – مصائب المغفرة :

أيها الأخوة الأكارم ، أما المؤمنون الصادقون ، أما المؤمنون المستقيمون على أمر الله ، فإذا ساق الله لهم بعض الشدائـد اللطيفة الملطفة بهذه من أجل أن يغفر لهم : قال مالك يا فاطمة ؟ قالت : حمى لعنها الله ، قال : يا فاطمة لا تلعنها فو الذي نفس محمد بيده لا تدغ المؤمن وعليه من ذنب . قال تعالى :

﴿وَلَنَبُولُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧]

هذه مصائب المغفرة ، للمؤمنين الذين أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرجهم من الدنيا إلى الجنة مباشرةً .

دخل النبي عليه الصلاة والسلام على بعض أصحابه فقال هذا الصاحب : يا رسول الله ادع الله أن يرحمني ؟ فتوجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل يدعو له بالرحمة ، فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأن أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده ، أو إفتاراً في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده ، حتى أبلغ منه مثل الذر ، فإذا بقي عليه شيء شددت له سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه .

هذه مصائب المؤمنين مصائب مغفرة ، يسوق هذه المصيبة من أجل أن يخرج المؤمن من الدنيا كيوم ولدته أمة مغفوراً لها ، معافي في نفسه ، لا يستحق إلا الإكرام ، فالمؤمن يسلِّم لقضاء الله عز وجل ، ويرضى بقدر ، ويرى أن رحمة الله عز وجل وسعت كل شيء ، وأن يد الله تعمل بالخفاء ، وأن هذه المصيبة هي نعمة باطنة مصداقاً لقوله تعالى :

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

[سورة لقمان : ٢٠]

تحدثنا عن مصيبة مخالفة السنن والقوانين إن بسبب النفس الأمارة بالسوء أو بسبب الجهل ، النفس الأمارة السوء تدفع الثمن مرتين مرة في الدنيا ومرة في الآخرة ، وأما الجاهل فإذا ساق الله له المصيبة فيها كفارته . وتحدثنا عن مصيبة الابتلاء :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت : ٢]

وتحدثنا عن مصيبة الردع :

﴿وَلَنُذَاقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة : ٢١]

وتحدثنا عن مصيبة القسم حينما يصر الإنسان على مخالفاته ومعاصيه وجرايمه وحينما لا تفعه تذكر ولا موعظة :

﴿ذَلِكَ جَزِيَّاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُنَّ نُجَازِي إِلَى الْكُفُورِ﴾

[سورة سباء : ١٧]

٧ – مصائب النعمة الباطنة :

أيها الأخوة الأكارم المصيبة بحق المؤمنين مغفرة لذنبهم أما المصيبة التي هي نعمة باطنة فهذه مصيبة من نوع آخر وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف ، وفي قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر حينما خرقت السفينة ، خرق السفينة مصيبة ولكن هذه المصيبة انقلبت إلى نعمة عظيمة بسبب أن هذه السفينة نجت من المصادر ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢١٦]

هذه ليست مصيبة إنما هي نعمة مبطنة ، نعمة خفية ، مصيبة المغفرة :

﴿وَلَتَبْلُو نَّكُومْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوْعِ وَنَقْصٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٥٧-١٥٥]

لكن المصيبة التي هي نعمة باطنة كمصيبة أصحاب السفينة تغطيها الآية الكريمة :

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢١٦]

٨ – مصيبة الكشف :

بقيت مصيبة الكشف ، هذه المصيبة الإنسان أحياناً ولا سيما كبار المؤمنين وكبار الصديقين والأنبياء والمرسلين ، هؤلاء ينطون على كمالات تفوق حد الخيال لا تبدو هذه الكمالات إلا في بعض الشدائد ، فإن يخرج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى الطائف مشياً على قدميه ليتقي التكذيب والسخرية والإنكار وليلقي الإيذاء ، ويأتيه جبريل يقول له : أمرني ربِّي أن أكون طوع إرادتك إن شئت لأطبق عليهم الجبلين ، ويقول النبي الكريم : اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده ، هذه ليست مصيبة ولكنها كشف لكمال في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يمكن أن يظهر إلا بهذه الطريقة ، إنه يرقى بها إلى أعلى علیین ، قال عليه الصلاة والسلام :

(أَخْبَرَنَا كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ جُبَيرَ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرُو أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤْذَنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صُلُوا عَلَيْ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةُ فِي الْجَنَّةِ لَا

**تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ
الشَّفَاعَةُ**)

[البخاري عن كعب بن عقمة]

مصابِبُ الكشف ، ومصابِبُ النعمةِ الباطنة ، ومصابِبُ المغفرة ، ومصابِبُ القسم ، ومصابِبُ الردع ، ومصابِبُ الابتلاء ، ومصابِبُ جزاء المخالفة بسبِبِ الجهل ، ومصابِبُ المخالفة بسبِبِ النفسِ الأمارة بالسوء ، هذه ثمانية أنواع من المصائب .

٩ – مصابِبُ يسوقها الله للإنسان بشكل مباشر أو على يد إنسان :

بقيَ أنَّ الله سبحانه وتعالى قد يسوقُ مصيبةً إلى الإنسانِ مباشرةً ، وقد يسوقُها على يدِ إنسان ، أمّا إذا ساقَها على يدِ إنسان فهناك مشكلة هي أنَّ الإنسان بضعفِ توحيدِه وضعفِ إيمانِه بالله يتوهمُ أنَّ هذا الذي ساقَ المصيبةَ على يديه هوَ الذي سببَها ، فيمتلئُ حقداً عليه ويتمنِي لو يقطعُه إرباً إرباً ، هذا أيضاً ضعفٌ في إيمانِه ، قال تعالى :

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[سورة الزمر: ٦٢]

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَتِهَا﴾

[سورة هود : ٥٦]

إذا آمنا هذا الإيمان انتهى الحقدُ من القلب ، وانتفى الألمُ الشديد ، قال تعالى :

﴿وَلَمَنْ صَرَرَ وَغَرَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

[سورة الشورى: ٤٣]

إذا كانت الحِكْمَةُ تقتضي أن يُعاقِبَهُ رداً لِمَا يُعاقِبُهُ ، وإن كانت الحِكْمَةُ تقتضي أن يغفَّرَ عنه تشجيعاً له على العفوِ عفا عنه ، وإن كانت الحِكْمَةُ أن يُعاتِيهُ عاتِيَةً ، من دونِ أن يحقدَ عليه ، من دونِ أن يمتلئَ غيظاً وحِماً .

من لم تُحدث المصيبةُ في نفسهِ موعظةٌ فمصيبَتُهُ في نفسهِ أكبرُ :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لكلِّ شيءٍ حقيقةٌ وما بلَغَ عبدَ حقيقةَ الإيمانِ حتى يعلمُ أنَّ ما أصابَهُ لم يكن ليُخطِئُهُ وما أخطأهُ لم يكن ليُصيِّبُهُ ، الإنسانُ إليها الأخوةُ إذا جاءَهُ شيءٌ على خلافِ ما يُريدُ لا ينبغيُ أن يُسكت ، لا ينبغيُ أن يُكسل عن البحثِ عن السبب ، الله جلَّ جلالُه يقولُ :

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

[سورة التغابن : ١١]

إلى علةِ المصيبة ، لأنَّه من لم تُحدث المصيبةُ في نفسهِ موعظةٌ فمصيبَتُهُ في نفسهِ أكبرُ ، بهذهِ الطريقة ، بهذهِ الأساليبِ القرآنية عرفنا اللهُ جلَّ جلالُه بأنَّ المصائبَ لها حِكمٌ وغياراتٌ ، لو كُشفَ الغطاء لاخترتم الواقع ، ويا أيها الأخوة الإنسان يومَ القيمة حينما يكشفُ اللهُ لَهُ الحِكْمَةَ التي من

أجلها ساقَ لَهُ بعْضَ الْمَصَابِ لَأَبْدَدَ مَنْ أَنْ يَذُوبَ كَالشَّمْعَةَ حُبًا لِلَّهِ ، وَشُكْرًا لَهُ عَلَى أَنْ ساقَ لَهُ هَذِهِ الْمَصَابِ ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ : " لِيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبْدُعُ مَا كَانَ " هَذَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة يومن: ١٠]

أَنْ يَقُولَ الْمُؤْمِنُ إِذَا ساقَ لَهُ الْمَصَبِّيَّةَ : يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى قَضَائِكَ وَقَدْرِكَ ، هَذِهِ لَهَا ثَمَنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَعْدُلُهُ ثَمَنٌ ، أَنْ يَسُوقَ اللَّهُ لِإِنْسَانٍ مَصَبِّيَّةً وَأَنْ يَصِيرَ عَلَيْهَا ، لَكُنَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَهَا نَهَا عَنْ تَمْنِيِ الْمَصَابِ بَلْ قَالَ :

((... لَكَ عَافِيَّتَكَ أَوْسَعُ لِي))

[ورد في الأثر]

لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَمَنِيَ الْمَصَبِّيَّةَ مَهْمَا تَحْدَثَتَا عَنْ فَضَائِلِهَا ، مَهْمَا تَحْدَثَتَا عَنْ ثَوَابِهَا ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ :

(لَكَ الْعَتَبَةَ حَتَّى تَرْضَى لَكَ عَافِيَّتَكَ أَوْسَعُ لِي))

[ورد في الأثر]

أَيَّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ كَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلِ الْمَصَبِّيَّةِ هِيَ الْمَصَبِّيَّةُ وَلَكِنَّ بَيْنَ أَنْ يَتَلَاقَهَا إِنْسَانٌ مِنْ خَلَلِ فَهِمَهُ الدِّيقَيقِ لِكَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبَيْنَ أَنْ يَفْهَمَهَا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبَيْنَ أَنْ يَفْهَمَهَا فَهِمَا شَيْطَانِيًّا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ فَهِمَهَا فَهِمَا رَحْمَانِيًّا عَادَتْ هَذِهِ الْمَصَبِّيَّةُ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ الْجَزِيلِ ، وَإِنْ فَهِمَهَا فَهِمَا شَيْطَانِيًّا خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

أَيَّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوهُ ، وَزِنِّوْا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتَ قَدْ تَخَطَّنَا إِلَى غَيْرِنَا وَسِيَّطَنَا غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلَنْ تَخْذِلْنَا ، الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمَلُ لِمَا بَعْدِ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيِّ .

* * *

الخطبة الثانية :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِي الصَّالِحِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَاحِبُ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسُلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

النظافة هي الطريق الوحيدة للوقاية من الأمراض المعدية :

أَيَّهَا الْأَخْوَةُ الْأَكَارِمُ ؛ قُبْلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ قَبْلَ أَنْ يُكَتَشَفَ الْمَجْهَرُ ، وَقَبْلَ أَنْ تُكَتَشَفَ الْجَرَاثِيمُ ، فَسَرَّ الْعُلَمَاءُ الْأَمْرَاضَ الْوَبِيَّةَ الْوَبَائِيَّةَ ذَاتِ الْعَدُوِّيِّ تَفْسِيرًا سَادِجًا ، قَالُوا : إِنَّ الْمَرْضَ يَتَوَالَّدُ فِي إِنْسَانٍ تَوَالَّدًا ذَاتِيًّا ، أَمَّا لِمَا كُتْبَفَ الْمَجْهَرُ وَأَكْتُشَفَتِ الْجَرَاثِيمُ الَّتِي هِيَ مُسَبِّبَاتُ الْأَمْرَاضِ الْمَعْدِيَّةِ وَالسَّارِيَّةِ عُرِفَتِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْمَرْضَ لَأَبْدَدَ لَهُ مِنْ سَبَبٍ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا السَّبَبُ غَيْرَ مَرْئِيًّا ،

كائناتٌ دقيقةٌ دقيقة لا تُرى بالعين لكنها تُرى تحت عدسات المجهر ، وعُدّت القاعدة الأولى وقتها أن النظافة هي الطريقة الوحيدة للوقاية من الأمراض المعدية ، القرآن الكريم ماذا قال ؟ قال تعالى :

﴿وَثِيَابُكَ فَطَهَرْ * وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾

[سورة المدثر : ٥-٤]

وقال تعالى :

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

[سورة الأعراف : ٣١]

شيءٌ دقيقٌ جداً هو أن القرآن الكريم استعمل كلمة الطهارة بدل النظافة لأنَّه ما كُلُّ نظيفٍ طاهرٌ لكن كُلُّ طاهرٍ نظيفٌ ، العكس غير صحيح ، الأداة الطاهرة نظيفةٌ لكن ما كُلُّ أداةٍ نظيفةٌ طاهرةٌ ، قد نجد فيها بعض الجراثيم ، فلذلك جاءت عبارة القرآن الكريم أدقّ من عبارة النظافة ، جاءت عبارة الطهارة في القرآن الكريم .

الأخذ بالأسباب و عزو المرض إلى قضاء الله و قدره :

أيها الأخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام هو في الحقيقة من خلال الوحي السماوي بينَ أول من بينَ أنَّ هناكَ أمراضاً تنتقلُ عن طريق العدوى ، قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أَسَامَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ، قَالَ أَبُو النَّضْرِ لَا يُخْرِجُكُمْ إِلَّا فِرَارًا مِنْهُ))

[البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه]

المقيم في الأرض كالشهيد والفار من الزحف ، إنسان بأرض فيها مرض هو قد لا يمرض ولكنه حمل المرض ، فإذا خرج من هذه الأرض أو من هذه البلدة نقل المرض إلى بلادٍ كثيرة ، فمن بقي في هذا البلد فهو في حكم الشهيد ، ومن خرج منه فهو في حكم الفار من الزحف ، هذا قاله النبي قبل خمسة عشر قرناً ، وقد أشار إلى أنَّ هناكَ أمراضاً تنتقلُ عن طريق العدوى .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حديث آخر ، قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : غَطُوا الْإِنَاءَ وَأُوكُوا السِّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لِيَلَّةً يَنْزَلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمْرُرُ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٌ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَكَرِ الْوَبَاءِ))

[مسلم عن جابر بن عبد الله]

أوكوا السقاء أي أغلقوا فتحة السيقاء ، أي هذه الجراثيم تتنقل عن طريق السوائل ، فالإنساء غير المغطى والسعاء غير المغلق ربما دخلته الجراثيم ، هذا حديث آخر يدل على انتقال المرض عن طريق العدوى .

وهناك حديث ثالث يقول عليه الصلاة والسلام :

((تَكَبُّوا الْغَيْرَ فَإِنَّ مَنْ هُنَّ لَا يَنْتَهُ))

[النهاية في غريب الحديث والأثر]

والنسمة المخلوق الحي مهما دق حجمه ، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام أشار بالنسمة إلى الجريمة .

وفي حديث آخر :

((مَنْ أَكَلَ الطِّينَ فَقَدْ أَعْنَى عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ))

[البيهقي عن ابن عباس]

أي من أكل فاكهة لم يغسلها فقد أعن على قتل نفسه ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام من باب التوحيد ، ومن باب أنه لا يقع شيء إلا بأمر الله قال : لا عدوى ، أي إذا مرض الإنسان لا ينبغي أن يتهم فلاناً بأنه عداه ، لأن النبي سئل عن الجمل يصاب بمرض الجرب ، قال : فمن أعدى الأول ؟ لك أن تأخذ الأسباب ولكن لا ينبغي أن تزعم المرض لغير الله عز وجل ، لك أن تأخذ الأسباب ، لك ألا تدخل على بلدة فيها مرض معد :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا عَدُوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالِ الْإِبْلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَانَهَا الطَّبَاعُ فِي خَالْطِهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فِي جَرْبِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ ؟ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدَ يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يُورِدُنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصَحٍّ وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الْأَوَّلِ قُنْدَنَ الْأَمْ تُحَدِّثُ أَنَّهُ لَا عَدُوَى فِرَطَنَ بِالْحَبْشِيَّةِ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَمَا رَأَيْتُهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

ويقول :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا عَدُوَى وَلَا طِيرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

فينفي أن تكون العدوى من دون أمر الله عز وجل ، من دون إرادة الله تفعل فعلها، يجب أن تأخذ بكل الأسباب وألا تعزو المرض إلا إلى قضاء الله وقدره .

شيء آخر هو أن الكلب إليها الأخوة إذا ولغ في إماء أحذكم النبي عليه الصلاة والسلام أمر أن نغسل الإناء سبع مرات إدھان بالتراب ، ولو رجعت إلى علماء الجراثيم لوجدت أن هذا الحديث الشريف من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الأكياس المائية التي ينقلها هذا

الحيوان عن طريق لعابه أو برازه لا تزول إلا بالتراب ، فاغسلوه سبع مرات إداهن بالتراب . الشيء الدقيق هو أن أمراضًا كثيرة سميت في منظمة الصحة العالمية بأمراض الفدراة لا سبيل إلى الوقاية منها إلا بالنظافة ، تنظيف كل شيء ، الطعام ، الخضروات ، الفواكه ، الأدواء ، المنزل ، الثياب ، الإنسان بالنظافة يقيه الله عز وجل شرًّاً أمراض كثيرة ليست أقل من أن تكون مهلكة بعض الأحيان .

من أطاع الله أكرمه الله بالسلامة في الدنيا والآخرة :

قبل أن ننتقل إلى الدعاء فكره غابت عني في أثناء الخطبة وهي أن الله سبحانه وتعالى يقول :
﴿ ما يفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة المائدة: ٩]

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعدهم الله بالحياة الطيبة ، فالإنسان - لازلنا في موضوع المصيبة - إذا نقصى طاعة الله عز وجل في الأعم الأغلب الله سبحانه وتعالى يكرمه بالسلامة في الدنيا والآخرة .

والحمد لله رب العالمين